محنة وبلية. وعمى يحجب الظلمة فهو عطية سنيّة. وعمى الحبّ من النوع الأخير الذي يحجب النقائص.

من بين كلّ العواطف التي يختلج بها القلب البشري ليس من عاطفة أنبل وأسمى وأقوى من الحبّ. إنّها العاطفة التي تُخرج العجائب. فنحن لو جندنا كلّ ما في الإنسان من ذكاء وعبقرية ودهاء لما استطعنا أن نخلق من القرد غزالاً. أمّا الحبّ إذا ما تربّع في القلب وبثّ أنفاسه في نياطه وشغافه، استطاع في أقلّ من طرفة عين أن يعبث بالناس وتقاليدهم، وبالطبيعة وسننها على هواه. فالعليل يبرأ، والقبيح يجمل، والضعيف يقوى، والقصي يدنو، والخشن ينعم، والقاسي يلين، والمحدود يغدو بغير حدود. وإذا الأبديّة لمحة واللمحة أبديّة. وإذا الفضاء بكلّ ما فيه سرير دافىء وثير. فالزمان والمكان كلاهما عبد طيّع للحبّ ومطيّة ذلول.

إنّ سحر الحبّ يفوق كلّ سحر. وكيمياؤه أين منها كيمياء الأنابيق والغازات في المختبرات؟ أوَليس أن الناس حاولوا، وما زالوا يحاولون، تحويل المعادن الرخيصة إلى معادن ثمينة؟ ولكنهم ما أفلحوا حتى اليوم. أمّا الحبّ فما انفكّ منذ أن كان الناس، يجعل من الصعاليك ملوكاً،